مدخل إلى الأدب المقارن -سنة ثانية ليسانس-.....(د.حميدة سليوة)

المحاضرة رقم 6:

مدارس الأدب المقارن

المدرسة السوسيولوجية (السلافية):

واحدة من التجارب الهامة في مجال الدراسات المقارنة، وإن جاء ظهورها متأخرا بالنظر إلى التوجهين السابقين، وكان ظهورها نتيجة تضافر بين الفكر المقارن والنظرية الماركسية، القائلة بأن: الأدب هو جزء من البناء الفوقي للمجتمع، فهو يتغير ويتطور وفقا للبناء التحتي، زيادة إلى أن لكل مجتمع أدبه ومميزات أدبه المختلفة عن آداب الشعوب الأخرى، ولكل طبقة من المجتمع أدبها الخاص.

1-ظروف النشأة:

تسمى فالماركسية ينسب إلى النظرية الماركسية –نسبة إلى كارل ماركس- وهي نظرية في الاقتصاد السياسي الأفكار الأساسية في الحركة الشيوعية التي غزت العالم الشرقي بداية إلى منتصف القرن العشرين، وتنص على أن أفراد المجتمع يدخلون في علاقات إنتاجية ومجموعة هذه العلاقات هو ما سمى بالبنية الاقتصادية للمجتمع وهو ما تسميه النظرية الماركسية بالبنية التحتية، هذه الأخيرة هي المتحكمة في البنية الفوقية ويشكل الأدب بأشكاله جزء منها، كما تقول بحتمية الصراع الطبقي وأهمية المادة في تغيير العالم ودورها في تفسير التاريخ، وأن الاقتصاد وعلاقات الإنتاج أساس الظاهرة الاجتماعية.

أدى انتشار الماركسية في دول الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية، إلى نمط حياة وتفكير فرضته السلطة الستالينية يجعل من كل أشكال الثقافة مكرسة لخدمة الشيوعية، وهذا ما طال الأدب والنقد اللذين أصبحا مرتبطين بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية، وفي المقابل ازدراء كل الحركات الحداثية لارتباطها بالمعسكر الغربي الرأسمالي، وهذا ما أخر وصول الأدب المقارن إلى هذه الدول على شساعتها، ولم تنفتح جامعات بلغراد وموسكو وبوخريست على هذا المجال المعرفي والبحثي إلا مع منتصف الخمسينيات إلى الستينيات من القرن الماضي، حيث فتح لأول مرة في جامعة لينغراد- بطرسبورغ حاليا- قسم الأدب المقارن، ورغم ذلك بقي مهمشا نظرا للانعزالية التي عاشها السوفيات وبلدان أوروبا الشرقية خلال الحرب الباردة،

وبقي الأدب المقارن –بالمفهوم الفرنسي وكذلك الأمريكي-يلقى الانتقاد والرفض في تلك البلدان كما حصل في موتمر موسكو للأدب عام 1960، حيث رأوا أن ما يقدمه الأدب المقارن لا يزيد عن خدمة التمركز حول الذات وتجاهل العالم الشرقي، وهذا ينافي روح الدراسات المقارنة، ثم أن التأثير المشروط باختلاف اللغة يقيد الدراسة الأدبية، وتحصرها في إثبات تأثر أدب ما بغيره دون الالتفات إلى تطوره والعوامل الاجتماعية المؤدية إلى ذلك .

2-الانبثاق:

كانت لندوة بودابست عام1962 التي بفضلها عاد الحوار والتواصل بين فرقة المقارنين في الغرب وآخرين في الشرق، ثم مؤتمر بوخريست1964، ثم ندوة برلين 1966، والمؤتمر الخامس للجمعية العالمية للأدب المقارن في بلغراد 1967، دور الكبير في استقبال هذا التوجه دول المعسكر الشرقي، والتمهيد لميلاد توجه ماركسي مقارن، وأتاحت هذه المؤتمرات للسوفيات ومدرستهم في الأدب المقارن:« **إبراز تميز صوتها، عبر اعتقادها في أطار المادية الجدلية التاريخية**

ونزوعها الإنساني»[1]، وجاءت هذه مدرسة تركز على أهمية التشابهات النمطية بعيدا عن شروط التأثير والتأثر، وهو تأريخ متأخر نوعا ما، حيث أن الأدب المقارن وجد صعوبة في الوصول إلى دول روسيا وأوروبا الشرقية، لعدة أسباب تاريخية سبق ذكرها أهمها التضييق على الأدباء ودارسي الأدب وإلزامهم بتبني الفكر الشيوعي، فقد امتدحت السيدة نيوبا كويفا من معهد موسكو:« **المدرسة الفرنسية، وهاجمت الأمريكية التي تنزع عن الأدب وظيفته[....] وتهاجم إذن العالم الرأسمالي في دراستها، التي تمنح الامتياز للتاريخ المقارن للآداب الأوروبية الغربية، وهي تنبني من جهة أخرى لأسباب جغرافية وتاريخية وسياسية، العالم الاشتراكي المؤسسة جهة، على العلاقات الثقافية، في دول الذنوب، والشرق والجنوب الشرقي لأوروبا»**[2]، وهكذا فقد كانت الأفكار الماركسية تتغلغل تدريجيا في مجال الأدب المقارن، فلا يمكن حسب المقارن السوفياتي-الشيوعي- للأدب إلا أن يكون أداة في يد الدولة، وأن يكون مرتبطا بالأحوال الاجتماعية والاقتصادية المتغيرة، ولا يمكن في نظرهم للفكر الرأسمالي أن ينتج معرفة نافعة، بتمركزه حول ذاته فقط مهمشا العالم من حوله.

هكذا كانت نشأة الأدب المقارن في الاتحاد السوفياتي مشروطة بتكييفه مع الفلسفة الماركسية، التي تربط الظاهرة الأدبية بالتاريخ الاقتصادي والاجتماعي، وتعطي هذه المدرسة أهمية كبيرة لدور التاريخ في معرفة دور المجتمع والصراع الطبقي في الأدب وأجناسه: «**سيؤدي فالتشابه الاجتماعي-السوسيولوجي- إلى ظهور أدب أممي (نمطي) متشابه**»[3]، لهذا سميت هذه المدرسة بالسوسيولوجية، فهي ترى أن التأثير يكون بين البنية التحتية نحو البنية الفوقية، أما التشابه بين الآداب فهو ناتج عن تشابه الظروف الاجتماعية والسياسية لمجتمعات هذه الآداب، ولا يمكن للأدب المقارن إلا أن يكون وسيلة سوسيولوجية.

3- تعريف الأدب المقارن:

يأخذ الأدب المقارن تعريفا مغايرا عند اتحاده بالسياسة والنقد الرأسماليين، ليصبح:« **دراسة التشابهات الناتجة عن تشابه الظروف الاجتماعية في عدد من القوميات، وهذا لا يعني أنهم يهملون دراسة التأثير، لكنهم يرون أن ظهور تشابه ما في أدب لا صلات بينها، يدل على أن التشابهات لا تكون دائما ناتجة عن تأثر، وإنما تخضع لحاجة المجتمع**»[4]، وكما سبق الذكر فالتشابه في عرف المدرسة السلافية ناتج عن تماثل أو تقارب البنى التحتية، وليس بالضرورة تأثير خارجي، وحتى في حالة وجود التأثير لا يكون إلا أذا توفرت الظروف الاجتماعية والاقتصادية المنتجة للأدب والملائمة لاستقبال التأثير، من أجل أدب يوحد القوميات شرقا وغربا.

4-أسس ومبادئ المدرسة السلافية:

. 1-علوش(سعيد): مدارس الأدب المقارن، المركز الثقافي العربي، المركو الثقافي العربي المغرب، ط1، 1987، ص129، 130

2-علوش(سعيد): مدارس الأدب المقارن، ص 128.

3-المرجع نفسه، ص133

4- مكسيموفتش(فيكتور): علم الأدب المقارن، تر:مرتضى (غسان)، ط1، سوريا 2004، ص 265.

-تطعيم الأدب المقارن بالفكر الماركسي والنظرية المادية الجدلية:« **رسم معالم علم اجتماع المقارن مهتمة في ذلك، بتلقي وإرسال ومضمون الرسالة في شتى جوانبها الجمالية والنقدية**»[1]، وهذا ما سمي فيما بعد بـ" علم اجتماع الأدب المقارن"، وهو اتجاه يجمع بين المقارنة الاجتماعية والإيديولوجية والأدب وخاصة الإيمان بالمادية الجدلية.

- النزعة الإنسانية التي تنظر إلى آداب العالم كأنها وحدة مشتركة، بموضوعات مشتركة ومشكلات واحدة:« **ما هو حقيقي بالنسبة للإنتاج الأدبي، ينطبق كذلك على الإنتاج الثقافي، إذ تصبح أعمال أمة ملكية لكل الأمم، مما يبعد محدودية النظرة والوطنية الضيقة**»[2]، ونلمس في هذا عناية بمفهوم الأدب العالمي، ونبذ الفروقات بين الآداب كيفما كانت قديمة أو حديثة مكتوبة أو شفوية، وشرقية أو غربية.

-تسليط الضوء على تجربة أدب روسيا وأوروبا الشرقية، والعالم الإسلامي وأدب أفريقيا وآسيا، و:« **مناهضة نزعة المركزية الغربية التي سادت، ولا تزال سائدة في كثير من أوساط الدارسين والتفكير المنطوي تحتها**»[3]، وفليس من المفيد للدراسة الأدبية المقارنة، أن تتجاهل آداب وتركز على أخرى بحجة أنها كبيرة أو قوية أو غيرها وكل كل أدب ما يميزه، والنظرة الكلية الانسانية.

-تسليط الضوء على الصراع الطبقي باعتباره مؤثر قوي في موضوعات الأدب، وفي استقبال الآداب الأجنبية، مع ربط الأدب بالتاريخ والتطور الثقافي لكل شعب.

- الاهتمام بدراسة التشابه والاشتراك بين آداب الشعوب، والابتعاد عن دراسات التأثير والتأثر، حيث ألح جيرومنسكي في مؤتمر بلغراد1967:« **أهمية التشابهات والاختلافات النمطية خارج ضرورة المحاكاة أو التأثير الواعي**»[4]، وهم منا يقارب من ونيه وليم ومنجزات المدرسة الأمريكية فيما يخص دراسات التوازي والأدب العام.

-الدعوة لتوظيف والاستفادة من مختلف المدارس الأدبية والنقدية في الدراسة المقارنة للأدب.

- من ميادين الدراسة المقارنة في المدرسة السلافية: العلاقات المباشرة بين الآداب ذات المناخ الوطني، بعناصره المحددة ، دراسة الموازنات خارج اطار التأثير والتأثر ودراسة المصادر، ودراسة الطوابع الخاصة لمختلف الآداب كموضوع مقارنة[5].

5- أهم الأعلام:

-ميكرو دينوفاMikro Deonovic

-جيرومنسكي Giremounski

-بومبيليو إيلياديPompilui Eliade

-نيهيا غيورغيNihnia Gheoghia

-ألكساندر ديماAleksander doma

-أ. فيسلوفسكي.

1- علوش(سعيد): مدارس الأدب المقارن، ص132.

2 -علوش(سعيد): مدارس الأدب المقارن، ص 128.

3-اصطيف(عبد النبي): المدرسة السلافية والأدب المقارن، الموقف الأدبي، اتحاد المتاب العرب دمشق، العدد433، 2007، ص 10.

4- المرجع نفسه، ص 128.

5- المرجع نفسه، ص 133.